تجارب مقترحة على نظريات لغوية
فى علم اللغة النفسى

تصميم
دكتور جلال شمس الدين

الأسكندرية
٢٠٠٤

توزيع
مؤسسة الثقافة الجامعية
٤٠ شارع سوتر - الأزاريطة
تليفون ٤٨٧٥٣٢٤ الاسكندرية

الفهرس

مقدمة

يكاد لا يوجد لغوي قط ليس لديه تصورٌ للكلام كيف يحدث، إذ أن هذا التصور هو نقطة البداية للغوي، **فهناك إذن تصورات** ونظريات كثيرة جداً **لكيفية حدوث الكلام وإنتاجه speech production** كما توجد تصورات أخرى عديدة للعلاقة بين بعض المكونات النحوية وغير ذلك. وسوف نقدم للقارئ **تصورين فقط لكيفية حدوث الكلام يؤسسان على مفهوم** الاستدماج داخل الذهن **internalization** مع **اقتراح لمعالجة هذين التصورين تجريبياً لإثبات مدى صدقهما. كما نقدم له تصورين آخرين عن علاقة المبتدأ والخبر وعن علاقة المضاف بالمضاف إليه في الجملة العربية، مع اقتراح لإجراء تجربتين لإثبات مدى صدقهما أيضاً.**

التصور الأول يرى أننا عندما **نجيد العربية الفصحى فإننا نستدمج قواعد الإعراب في** أذهاننا، **وعندما نتكلم بالفصحى، فإن هذه** القواعد المستدمجة تعمل آلياً في المفردات المعربة **فترفع هذا وتنصب** ذاك.. الخ دون أن **يفكر** المتكلم **في** هذه القواعد.

والتصور الثاني- وهو أكثر شمولاً- يرى أننا حين نتكلم العربية الفصحى التي نجيدها، فإننا نستخدم لإنتاج الكلام قوالبَ لغوية تتضمن كافة القواعد التي تلقيناها من مدرسينا ضمناً، واستدمجناها في أذهاننا وما الكلام إلا أن نَصُبَّ مجموعة من الأصوات داخل هذه القوالب. أما الدليل الاستبطاني على ذلك، هو أننا نلاحظ أن الذين يجيدون الفصحى حين يرتجلون الحديث، فإنهم يتكلمون بتلقائية شديدة، ويستحيل عليهم أن يقوموا في أذهانهم بإعراب الكلام كلمةً كلمة، فيرفعون هذا لأنه فاعل، وينصبون ذاك لأنه مفعول، ويَجُرُّون آخر

لأنه معطوف على مجرور، وإنما يسلك هذا السلوك من لم يتدربوا التدريب الكافي على العربية، وأما الذي يَسّر للذين أجادوا الفصحى تلقائيتهم، هو امتلاكهم **القوالب اللغوية** التي تتيح لهم استخدام قواعد اللغة دون التفكير في هذه القواعد، وهو ما يمكن أن نسميه بالسليقة اللغوية أو الحدس اللغوي intuition.

والتصور الثالث يرى أننا نُقسِّم الكلام في عقولنا إلى مبتدأ وخبر، فنرفع الأول ونرفع الثاني ثم نطبق سائر أحكامهما.

أما التصور الرابع والأخير فيرى إننا نعتبر المضاف والمضاف إليه كالكلمة الواحدة، ولذلك يطبقون عليهما أحكامهما النحوية.

هذه هي التصورات التي سوف نصمم لكل منها تجربة يقترح إجراؤها في المعمل، مستعينين بتجربة جين بركو Jean Berko بخصوص الاستدماج بعد تطويرها، كما نستعين بتجربة أخرى لعمون Ammon لمعرفة مدى الترابط بين كلمتين أو عنصرين نحويين.وهذا العمل امتداد لكتابنا السابق "تجارب مقترحة في علم اللغة النفسي"[1] وسوف نعني بطبيعة الحال ببيان الجانب النفسي في كل تجربة، والمنهج النفسي الذي يتبع في هذه التجربة.

الإسكندرية نوفمبر ٢٠٠٣

جلال شمس الدين

---

[1] تجارب مقترحة في علم اللغة النفسي. دكتور/ جلال شمس الدين. أنظر المقدمة

الفصل الأول

تجربة لإثبات استدماج القواعد الإعرابية في ذهن المتكلم

قلنا في المقدمة أنه لا يوجد لغوي قط ليس لديه تصور للكلام كيف يحدث، ومن ضمن هذه التصورات، أن نفترض أن انتاج الكلام يحدث طبقاً للقواعد اللغوية المستدمجة internalised في أذهاننا. فلقد سبق أن عالجت جين بركو Jean Berko اثبات استدماج قواعد الإلصاق affixation في أذهاننا حتى إننا نستخدم هذه القواعد آلياً وبدون تفكير، وكانت معالجة بركو تدور أساساً على اللواصق بنوعيها سواء الإعرابية inflectional أو الاشتقاقية derivational[1]

وفيما يلي عرض موجز لهذه المسألة كما عالجتها العالمة جين بركو.

تبدأ القضية عند بركو بطرح هذين السؤالين: هل هناك وجود نفسي للمورفيم [الإعرابي والاشتقاقي] أم لا؟ وهل توجد له قواعد مستدمجة داخل الفرد يستخدمها آلياً دون أن يشعر في كافة العمليات اللغوية الخاصة بالمورفيم؟ [2]

سبق أن قرر اللغويون- كما تقول إيفلين التي تعرض تجربة جين بركو- أن قواعد الإلصاق تتيح لنا أن نُكَوّن كلمات جديدة من كلمات قديمة، ومن غير المحتمل أن تكون لمعاجمنا العقلية مداخل لكل ما يلي ككلمات منفصلة:

write- written- writes- writing- wrote.

---

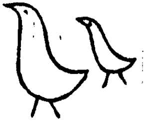
(١) أنظر الموسوعة المرجعية في علم اللغة النفسي. د. جلال شمس الدين.

(٢) علم اللغة النفسي- مناهجه ونظرياته وقضاياه د. جلال شمس الدين ٢/ ٣٤

ولكن الذي يبدو أكثر احتمالاً أن تكون لنـــا صيغـــةٌ واحـــدة، ومجموعة من القواعد لإنتاج الصيغ الأخرى. ولكن ما هو الدليل علـــى أن هذه النظرية اللغوية صادقة؟

لقد ابتكرت بركو طريقة ساذجة ، ولكنها فذة لاختبـــار إنتـــاج **اللواصق– بنوعيها– لمتكلمي الإنجليزية أبناء اللغة للمرحلـــة الأولـــى سواء الأطفال أو اليافعين. ويتكون الاختبار من مجموعة من الصـــور التي تصور كلمات لا معنى لها وليس لها وجود في المعاجم الإنجليزية للتأكد من أن الأطفال– ببساطة– لا يتذكرون الكلمات المختلفة بنهاياتها المورفولوجية الملموسة. وكان الاختبار يحتوي على ٢٧ بنداً، كل منها يختبر قاعدة مورفيم معين كما في الأمثلة الآتية:**

-This is a wug- Now there are two of them. There are two ....?
(wugs/z/ voiced form of plural)


Two wugs


How to rick


A frog


small wug.

- This is a bird who knows how to rick. It is ricking. It did the same thing yesterday, it .... (ricked/t/ voiceless form of past tense)
- This is a frog who knows how to mott. He is motting. He did the same thing yesterday. What did he do yesterday? Yesterday he ..... (motted, the form of the past tense).
-This is a little wug. What would you call such small wug? It is a ..... (wuggy, wuglet- dimunitive).

كان المفحوصون يتكونون من ١٢ يافعاً و ٥٦ طفلاً مـــن مـــا قبل الدراسة ومن المرحلة الأولى. وكانت النتائج تدعم بوضوح القـــول

بأن الأطفالَ لديهم مجموعةٌ من القواعـــد المســـتدمجة internalised لتكوين الجمع والملكية والفعــل المســتمر [ing] ، والفعــل المــاضي والمضارع والتصغير .. الخ[٣]

إن هذه الدراسات لدليل على أن الأطفال يتبعون قواعد داخليــة للمورلوجيا في لغاتهم الأولى والثانية. وبإتباع أثــر هــذه الدراســات، تحدثت دراسات أخرى عديدة عن اكتساب مثل تلك القواعــد بواســطة متعلمي اللغة الثانية مستخدمةً تنوعات لنموذج بركو للكلمات غير ذوات المعنى كمثيرات.

وواضح أن الجانب النفسي في هذه التجربة هو السلوك اللغوي للمفحوص، أما المنهج النفسي المستخدم في الدراســـة فــهو المنــهج السلوكي حيث تمثل الصور والكتابة المقابلة لهاالمثير واشتقاق الكلمـة المطلوبة هو الاستجابة ثم يستنبط المجرب من ذلــك وجــود القواعــد مستدمجة في المفحوص.

غير أننا- عند هذا الحد- نريد أن نقف وقفة قصيرة لمناقشـــة معنى قواعد الإلصاق للمورفيات، فمن المعروف أن المورفيات إما أن تكون اشتقاقية أو إعرابية كما سبق أن ذكرنا؛ والذي نــود أن نقولــه هنا أن قواعد الإلصاق للمورفيات الإعرابية بالذات هي قواعد نحويـــة فأنت لا تستطيع أن تقــرر مثــلاً أن تضيــف المورفيــم [s-] للفعــل المضارع في اللغة الإنجليزية، إلا إذا كانت القـــاعدة النحويــة ذاتــها مستدمجة في ذهنك، إذ لابد من وجود الضمير (He) أو (she) أو مــا يفيد أن الإسناد هو للمفرد. كما أنك لا تستطيع أن تضيـــف اللاصقــة

---

(٣) السابق ٣٥

[-ed] للفعل المضارع، أو تضيف اللاصقة [-en] في التصريف الثالث للفعل، إلا بوجود تراكيب نحوية معينة.

أي أن قواعد الإلصاق- للمورفيات الإعرابية بالذات- هي قواعد نحوية تركيبية حتى ولو لم تصرح جين بركو بذلك، وأن استدماج قواعد إلصاق المورفيات الإعرابية في ذهن المتكلم، يعني بالضرورة استدماج القواعد النحوية التركيبية المقابلة لهذه المورفيات، وهو الذي يهمنا من هذا المقام.

والآن فلنطور هذا الاختبار قليلا لنجعله ملائما لهدفنا وهو محاولة إثبات أن المتكلم الذي يجيد اللغة- التي تعلمها من مدرسيه في حالة العربية الفصحى- يستدمج في ذهنه قواعد نحوية تركيبية يستخدمها بآلية وبدون تفكير، فنستبعد الصور التي لا معنى لها ونحل محلها كلمات لا معنى لها، مثلما فعلت جين بركو في كلمتي mott و rick ، فيأتي الاختبار مبنيا كله على الكلمات لا الصور والكلمات، وغني عن البيان أن هذه الكلمات التي لا معنى لها، سوف تستبعد أي خبرة سابقة للمفحوص، بحيث أنه لو نجح المفحوص في إجراء عملية الإلصاق، نكون متأكدين أنه أجراها طبقا لقواعد مستدمجة، وليس طبقا لقواعد يسترجعها من الذاكرة. وسوف نستعين في تجربتنا على العربية الفصحى بالجملة الهرائية التي استخدمها الدكتور تمام حسان في كتابه " اللغة العربية- معناها ومبناها " لكي يثبت ضرورة وجود علاقات بين الكلمات حتى ولو كانت غير ذات معنى، وهذه الجملة هي:

حنكَفَ المستعصُّ بسفاحتِهِ فعنَّذَ الترانَ تعنيذاً فسيلا.[4]

---

[4] العربية معناها ومبناها د. تمام حسان ١٩٣

وسوف نقدم جملا شبيهة بهذه الجملة للمفحوصين دون تشكيل ونطلب منهم تشكيلها التشـــكيل الملائـــم (أي إعرابـــها). فـــإذا نجـــح المفحوصون في ذلك، فسوف يعني هذا أنهم يستدمجون قواعد إلصـــاق المورفيات النحوية، وهي علامات الإعراب. وتكون الجملـــة المقدمـــة كما يلي:

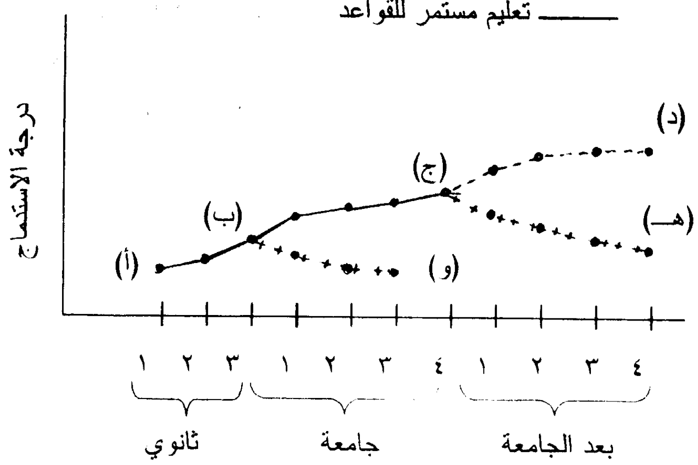
حَنْكَفَ المُسْتَعِصُّ بسفاحتِه فعنَّذَ التران تعنيذ فسيل

هذا ويمكن تنويع هذا الاختبار ليشمل متغيرات أخرى، فنـــأخذ مثلا المرحلة التعليمية لتعليم قواعد اللغة العربيـــــة كمتغـــير، ومـــدى الاستمرار في تعلم النحو متغيرا آخر، ثم استخدام هذه القواعد بعد ذلك في تدريب الآخرين- أي التدريس- متغيرا ثالثا، وقد نحصـــل علـــى منحنى قريب من المنحنى التالي:

- - - - استخدام القواعد في تدريب الآخرين

+ + + توقف تعلم القواعد

ـــــ تعليم مستمر للقواعد



ومن هذا المنحنى الافتراضي سوف يتضح أن درجة الاستدماج تزداد كلما ازدادت مدة التدريب والتعلم (أ- ب)، حتى تصل هذه الدرجة إلى أقصى غايتها عند الطلبة الجامعيين الذي يستمرون في دراسة العربية ويتخصصون فيها (ب-ج). ثم تأخذ في الزيادة لو عمل هؤلاء الطلبة كمدرسين يدرسون النحو للآخرين (ج-د). ولكنها تأخذ في الانخفاض عند الطلبة الذين يتوقفون عن هذه الدراسة بعد التوجيهية ويلتحقون بكليات أخرى مثل الحقوق والهندسة والطب والعلوم والزراعة... الخ (ب-و). ولكن إذا كانت مدة التدريب كافية كما في المنطقة (ب-ج)، فإنه حتى لو توقف التدريب، فإن درجة الاستدماج لا تنخفض كثيراً كما في المنطقة (ج-هـ) وذلك عند الطلبة الذين درسوا قواعد اللغة العربية على مستوى الكليات ثم عملوا بعد ذلك في أعمال أخرى لا تزيد من قدرتهم النحوية. وواضح أن الجانب النفسي في هذه التجارب هو السلوك أما المنهج النفسي المستخدم فهو المنهج السلوكي، حيث تمثل الكلمات المجهولة المثير، وإضافة مورفيات الإعراب الاستجابة.

غير أن استدماج قواعد إلصاق المورفيات الإعرابية، لا يعني استدماج كافة القواعد النحوية، فهناك قواعد أخرى مثل قواعد التذكير والتأنيث وقواعد العدد وقواعد ترتيب الكلمات، وبالطبع يحتاج الأمر إلى اختبار مدى إمكانية استدماج هذه القواعد. كما أن هناك نظريات أخرى تفسر إنتاج الكلام speech production غير نظرية القواعد منها نظرية القوالب. وفيما يلي سوف نقدم محاولة لإثبات هذه النظرية.

الفصل الثاني

تجربة لإثبات استدماج القوالب اللغوية في ذهن المتكلم

مقدمة:

لقد كان نحاة العربية القدماء يتصورون الكلام على أنه سلسلة من الجزيئات المنفصلة المتتابعة التي يعمل السابق منها في اللاحق طبقاً لنظرية العامل والمعمول المؤسسة على فكرة العلية الأرسطية، فكما أن لكل معلول علة، فإن لكل معمول عامل، ونظراً لأن العلة يجب أن تسبق المعلول فلابد أن يأتي العامل قبل المعمول. ومن هنا جاء تصور الكلام على أنه سلسلة جزيئات يعمل السابق منها في اللاحق.

على أن الأمر- طبقاً لتصورنا- ليس كذلك؛ إذ أن عنصراً ما من الكلام، أو حتى جملة عناصر لا تعتبر علة لما يتلوها من عناصر، فالكلام لا يحدث بل ولا يدرك بهذه الصورة من التجزيئ والانفصال حتى تصبح علاقة السببية ممكنة ويصبح هناك علة ومعلول وعامل ومعمول ، بل إن الكلام يحدث على صورة قوالب أو أبنية كاملة لا كلمات منفصلة، قوالب أو أبنية مترابطة يدركها المستمع إدراكاً جشطالتياً- أي كلياً- ثم يستخدمها دون تدخل منه، تأتي متداخلة أحياناً، ومتتابعة أحياناً أخرى، وبذلك يستحيل وجود علاقة علية بين عنصر سابق وعنصر لاحق ؛ فلو كانت (إنَّ) مثلاً مسئولة حقاً عن الفتحة الموجودة على المبتدأ والضمة الموجودة على الخبر- كما يرى أصحاب نظرية العامل - فإن نفس هذه الفتحة التي على المبتدأ والضمة التي على الخبر، مسئولتان أيضاً- وبنفس القدر- عن

وجود (إنّ) في أول الجملة، إذ متى وجدت الفتحة على المبتدأ والضمة على الخبر، لابد من وجود (إنّ) في أول الكلام.

وفي الحقيقة فإن واحداً منهما ليس مسئولاً عن وجود صاحبه؛ فلا (إنّ) هي التي أوجدت الفتحة والضمة، ولا الفتحة والضمة هما اللتان أوجدتا (إنّ)، وإنما هذا التركيب عبارة عن قالب يستعمل جميعه بكل عناصره معا أو يترك معاً كخاتَم البريد، يتكون من اسم الدولة واسم المدينة واسم الحي والتاريخ الذي سوف يستخدم فيه الخاتَم، ولا واحد من هذه العناصر مسئول عن الأخر، والجميع يُستخدَمون في قالب واحد-فمصر- مثلاً- ليست مسئولة عن وجود مدينة الإسكندرية، وإنما وجدت هذه المدينة لأسباب تاريخية وعسكرية واقتصادية الخ، وبالتالي فإن مدينة الإسكندرية ليست مسئولة هي الأخرى عن وجود أي حي من أحيائها، وإنما وجدت كافة أحيائها لأسباب اقتصادية أو سياحية أو غير ذلك. وبالمثل فإنه سواء مصر أو مدينة الإسكندرية أو أي حي من أحيائها ليس مسئولاً عن التاريخ الموجود على الخاتَم، وإنما وجد هذا التاريخ بسبب دوران الأرض حول نفسها أمام الشمس، ثم دورانها هي ذاتها حول الشمس واتخاذنا حدثا معيناً بداية للتأريخ، حقاً هناك علاقات بين كافة هذه العناصر سواء مكانية أو زمانية، ولكن ولا واحد منها مسئول عن وجود الآخر[1]

فأحد تصورات اللغة إذن أنها مجموعة من القوالب- أو الأنماط- التي تتابع في سلسلة قد لا تنتهي وإذا استخدمنا لغة علم

---

[1] الأنماط الشكلية لكلام العرب-د. جلال شمس الدين ١/٥٣-٥٤.

النفس، قلنا إن الكلام– وهو مدرك حِسِّي– يحدث حقـــا علـــى أنـــه أجزاء يتبع بعضها بعضا، ولكن إدراكنا يحدث على صورة جشطلتات أي صيغ، فكل قالب هو جشطالت مترابط مع الجشطالت الـــذي يليـــه والتحليل ما هو إلا محاولة من اللغـــوي لمعرفـــة ممـــا يتكـــون هـــذا الجشطالت أو القالب وكيف تترابط أجزاؤه. وما هي العلاقات بين هـــذه الأجزاء.[٢]

غير أن هذه القوالب أو الأنماط مع تكرارها تُستدمَج بعد ذلـــك في ذهن مستخدم اللغة لحين الاحتياج إليها واستخدامها بعد ذلك كمـــا هي، فالمتكلم لا يتدخل في القوالب اللغوية أو الجشطالتات أو الأنمـــاط لأنها مفروضة عليه بما للظاهرة الاجتماعية من عمومية وقوة جبريـــة على أفراد المجتمع، ومـــن المعـــروف أن اللغـــة إحـــدى الظواهـــر الاجتماعية، فلها هي أيضا جبريتها على هؤلاء الأفراد.[٣]

كل ما سبق يعني أننا نتكلم بطريقة آلية تخلو من التفكير فـــي كيفية بناء ما نقوله، وأننا حين نتكلم، لا نفكر في أن هذا الاسم مرفـــوع لأنه مبتدأ أو لأنه فاعل، أو أنه منصوب لأنه مفعول بـــه أو منـــادي، فكافة هذه المعاني النحوية لا تَرِد على ذهن المتكلم مهما كانت درجـــة إتقانه لتعلم نحو لغته الفصحى، فالكلام هو استجابة آليـــة لمثـــير مـــا باستخدام قوالب لغوية مستدمجة في الذهن.

هذه هي نظريتنا اللغوية أخذناها عن الجشطالتين والسلوكيين،

---

[٢] السابق ١/٥٣-٥٤

[٣] السابق ١/٥٤

ولكننا لم نبرهن عليها سيكولوجيا في كتابنا المشار إليه بل قدمنا برهانا لغويا بحتا.(٤) ولكن ما الذي نعنيه بالقوالب اللغوية؟ وما هو هذا البرهان اللغوي؟

إذا أردت أن تصنع نوعا من الحلوى، فقد تأخذ قالبا من أي مادة مناسبة وتصب فيه هذه الحلوى إلى أن تتجمد، عندئذ تُفْرِغُها من القالب فتراها وقد أخذت شكل هذا القالب، وقد تصنع نوعا آخر من الحلوى وتصبها في نفس القالب فتأخذ نفس الشكل، وقد يتكرر الأمر مرات ومرات مع أنواع أخرى من الحلوى، فتأتي جميعا ذات شكل واحد ومواد مختلفة. هذا هو الأصل المادي لفكرة القالب. وقريبا من ذلك يحدث في اللغة.

فإذا جئنا للعربية وجمعنا نطوقا مثل:

كان الطقسُ بديعًا	جاءَ الرجلُ ضاحكا
كان القطارُ سريعا	ابتسمت الأمُّ مشجعةً
كان الطفلُ حزينا	أَحبَّ الطفلُ قطةً
كان القمرُ بازغا	أطعمَتْ الطفلةُ كلبا

فإنه لا يهمنا المعاني، سواء النحوية أو المعجمية، لكلمات مثل: بديعا- سريعا- حزينا- بازغا- ضاحكا- مشجعةً- قطةً- كلبا. لا يهمنا معاني هذه الكلمات، ولكن الذي يهمنا هو سلوكها اللغوي- أو بمعنى آخر- الصورة التي جاءت عليها. فهي جميعا أسماء منصوبة منونة جاءت بعد اسم معرفة مرفوع، الذي جاء هو الآخر بعد فعل ماض.

---

(٤) السابق ١/٥٤ -٥٥

إن الذي يتأمل في النطوق السابقة والتحليل الذي أوردناه لتونا، سوف يدرك من أول وهلة أن هناك وحدة تجمع بين هذه النطوق جميعاً وهي وحدة الصورة الصوتية. فهناك نموذج صوتي عام تجده شائعاً في كل عبارة من هذه العبارات.

ولو جردنا هذه الصورة الصوتية الواحدة الموجودة من كل نطق من هذه النطوق، وجدناها تتكون مما يلي:

فعل+ ال + اسم مرفوع + اسم منصوب + ن

فلو تأملنا هذه العناصر وجدنا أنها تتكون من فئتين مختلفتين: ثوابت أتت مطردة في كافة النطوق ومتغيرات تغيرت من نطق إلى آخر، ولكنها لم تتغير من حيث نوعها، بل من حيث مادتها فقط كما يلي:

الثوابت: فعل - (ال)- اسم مرفوع- اسم منصوب- (ن) أي التنوين. ومن الثوابت أيضاً. موضع كل عنصر من العناصر السابقة بالنسبة للعناصر الأخرى، وهو ما عبرنا عنه بالرمز (+) أي أن هذا العنصر يلي ذاك.

المتغيرات: مادة الفعل ومادة الاسم.

حيث تُكوِّن الثوابت الإطار أو الصورة أو القالب أو الشكل أو النمط (وكلها بمعنى واحد) الذي تصب فيه المادة أو المتغيرات، فتنتج لنا النطوق المختلفة المتحدة في صورتها. ومجموع الثوابت والمتغيرات معاً تكوّن الأمثلة أو " الكلام". وإذا حللنا كافة نطوق العربية، سوف نجد أنها جميعاً يمكن أن تُجمع في مجاميع ثم تجرد هذا التجريد لكي نصل إلى الأنماط المختلفة أو الأشكال أو القوالب اللغوية

للغة العربية. وحتى لو صادفنا نطقٌ واحدٌ لا مثيل له مثل (يـــا الله) حيث يأتي الاسم المعرف بالألف واللام بعد الأداة (يا) وهو نطق يكـاد يكون وحيدا، فلا بد أن تكون له صورته التجريدية الفريدة الخاصة به.

يا + ال + لفظ الجلالة

هذا هو البرهان اللغوي الذي اشرنا إليه وهو الذي دعانـــا لأن نتصور الكلام يحدث طبقا لأنماط شكلية أو قوالب يرثها الخلف مــــن السلف من أبناء اللغة الأولى، أو نتعلمها من المدرسين في حالة اللغـــة الثانية.

البرهان السيكولوجي:

أما عن البرهان السيكولوجي فهو سهل يسير، وهو شبيه بمـــا يجرى مع الأطفال في المدارس، وسوف نستوحي جـــزءا منـــه مـــن تجربة بركو مع إضافة يسيرة من لدينا، فنطـــرح علـــى المفحوصيـــن مجموعة من المفردات المعجميةcontent words ذوات صيغ عربيـــة وإن كانت بدون معاني حتى نتفادى أي خبرة سابقة، ومعها مجموعـــة من كلمـــات الوظيفـــة[°] function words. وســـوف نبعـــثر هـــاتين المجموعتين معا بدون أي ترتيب ونطلب من المفحوصين ترتيب هـــذه الكلمات في قالب عربي مع إعرابها الإعراب المناســـب. فلـــو نجـــح المفحوصون في ترتيب هذه المجموعة في أحد القوالب العربيـــة مـــع إعرابها الإعراب المناسب تأكد لدينا أن القـــالب اللغـــوي أو النحـــوي مستدمج من ذهن المتكلم، وعلى قدر ما ينجح المفحوص فـــي ترتيـــب

[°] أنظر الموسوعة

المجاميع، على قدر ما يكون لديه من القوالب العربيـــة المســتدمجة، ولنضرب مثلاً لذلك جملتنا الهرائية:

بسَفاحتِه- فعَّنذ- حَنْكَفَ- فَسِيل- المُسْتَعِصّ- تعنيذ- التَّران

وسوف نكون هذه التجربة- بطبيعة الحال- أكثر صعوبة مـــن التجربة السابقة، لأننا نطلب من المفحوص هنا أن يؤدي عمليتين معـاً، هما: الترتيب والإعراب، وعلى ضوء التجارب الاسترشـــادية يمكـــن تحديد التسهيلات التي تقدم للمفحوصين، وعلى أن يراعى في الكلمـــات التي لا معنى لها (اللامعجمية)، أن تتناسب مع المســتويات المختلفــة، فلا تكون شديدة الغرابة، أو شديدة الصعوبة مـــن الناحيــة النحويــة، خاصة مع المستويات الأولى.

هذا ويمكن- مع تنويع التجارب- قياس ظواهر لغوية أخـــرى مثل: التأنيث، والعدد والمطابقة_ وغير ذلك من الظواهـــر اللغويــة بتصميم التجارب المناسبة، ويمكن بطبيعة الحال تنويع المتغيرات كمـــا فعلنا في التجربة السابقة. وواضح أن الجانب النفسي من هذه التجـارب هو السلوك ، أما المنهج النفسي المستخدم فهو المنهج السلوكي حيـث تمثل الكلمات المبعثرة المثير، وترتيب هذه الكلمات طبقاً لأحد القوالـب المستدمجة الاستجابة.

الفصل الثالث

تجربة لإثبات أن الكلام ينقسم إلى مبتدأ وخبر

ومن ضمن النظريات اللغوية أيضا، والتي شاعت في معظم اللغات تقريبا، تقسيم الكلام، حيث اعتقد النحاة أن الكلام ينقسم- في اللغات اللاتينية- إلى تعبيره اسمية noun phrase وتعبيره فعلية verb phrase ولقد اعتقد نحاه العربية القدماء، وطبعا في مقدمتهم الخليل وسيبويه أن الكلام ينقسم- من ضمن تقسيماته- إلى مبتدأ وخبر. ولقد قدم علم اللغة النفسي بعض التقنيات التي استخدمت لمعرفة مدى صدق هذا التقسيم من الناحية السيكلوجية، وهل يقوم المتكلم أو المستمع في اللغات اللاتينية فعلا بتقسيم الكلام في عقله إلى تعبيرة اسمية (N P) وأخرى فعلية (VP) أم لا؟

هناك تجربتان هما تجربة النقرة click experiment لليدفوجد Ladefoged وآخرين، وتجربة تقنية الكلمة المسبار probe word technique لعمّون Ammon ولسوف نستخدم هنا تجربة تقنية الكلمة المسبار حيث أنها لم يوجه لها أي نقد، على خلاف تجربة النقرة التي تعرضت إلى بعض النقد [1] بالإضافة إلى أن تقنية الكلمة المسبار تزودنا بأدوات إضافية في البحث، وفيما يلي عرض لهذه التجربة التي تقوم على فكرة المعالجة Processing *

قدم عمون (١٩٦٨) جملا للمفحوصين مثل:

The polite actor thanked the old woman who carried the black umbrella
1 2 3 4 5

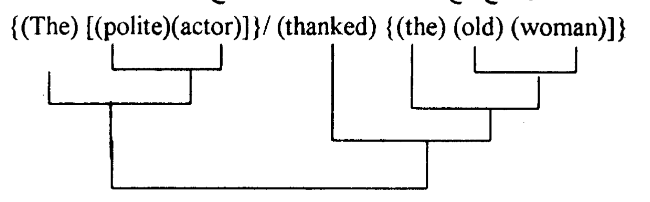
---

(١) أنظر كتابنا علم اللغة النفسي- مناهجه ونظرياته وقضاياه ٢/٦٣-٦٤

* لمعرفة معنى معالجة processing أنظر الموسوعة

وبعد سماع الجملة وجمل أخرى بنفس بنيتها سُئل المفحوصون أسئلة مثل: ما هي الكلمة التالية للكلمة old؟ وقد قيس زمن الأستجابة ودقتها. ولقد وجد عمون أنه حين تكون الكلمة في الموضع رقم (١) polite أو رقم (٣) old فإن المفحوصين يستدعون الكلمة التالية بدقة أكثر وسرعة أكثر مما لو كانت الكلمة من الموضع رقم (٥) أو رقم (٢) actor أو رقم (٤) woman وعلى ذلك فإن أقل الدقة وأكثر الوقت طولا حصل عند مفصل المكوّن الرئيسي بين التعبيرات الاسمية والتعبيرات الفعلية. وما يلي ذلك حدث بين التعبيرة الا سمية والكلوزات الموصولة relative clauses [٢]،والأقل مما سبق حدث بين الصفة والاسم، وهذا يتفق مع فكرة أن الكلمة polite في الجملة السابقة تقبل نظميا أن توضع في قوس مع كلمة actor والكلمة old توضع مع الكلمة woman . . الخ.

{(The) [(polite)(actor)]}/ (thanked) {(the) (old) (woman)]}



وهذا التقويس يبدو مشابها جدا لتقسيم النحاة [٣]

أي أن فكرة التجربة أنه طالما أن الزمن اللازم لمعالجة أجزاء الجملة يتباين في المفاصل، وطالما أنه يزداد في المفصل الرئيسي وهو الذي يَكُون بين التعبيرة الاسمية والتعبيرة الفعلية، فإن ذلك دليل

[٢،٣] أنظر علم اللغة النفسي- مناهجه ونظرياته وقضاياه ٢/٦٢-٦٣، ولمعرفة معنى relative clause أنظر الموسوعة

على أن العقل يقوم فعلا بتقسيم الكلام إلى تعبيره اسمية وأخرى فعلية، وأنه يحتاج إلى مزيد من الوقت لكي يقوم بهذه المعالجة، ويصل زمن المفصل إلى أدنى قدر له عندما لا يكون هناك تقسيم ما.

فإذا نقلنا هذه التقنية إلى اللغة العربية وطبقناها عليها، أمكن الافتراض أن المتكلم يقسم الكلام سيكولوجيا إلى مبتدأ وخبر، وأننا لو أخضعناه للاختبار سوف نجده يستغرق وقتا أطول في المفصل الرئيسي للجملة، وهو الذي يكون بين المبتدأ والخبر، ولنأخذ جملة مثل:

أعماقُ البحارِ والمحيطاتِ | تختلفُ اختلافا شديدا

١ ٢ ٣ ٤ ٥ ٦

ونبني جملا عديدة مثلها، ثم نطلب من المفحوصين أن يقولوا لنا ما هي الكلمة التالية للكلمة رقم (٤) مثلا أو الكلمة رقم (٢) .. وهكذا، وذلك بعد قراءتها عليهم مرات عديدة، على أن تكون الأرقام بدون ترتيب، ونقيس الزمن المستغرق في المفاصل المختلفة. ونتوقع طبعا إذا كان افتراض اللغويين صحيحا من الناحية السيكلوجية، أن يكون الزمن المستغرق في المفصل بين الكلمتين رقم (٣) ، (٤) هو أكثر الأزمان طولا، مما يدل على أن المستمع أو المتكلم يعالج الكلام فعلا ويقسمه إلى مبتدأ وخبر، فيستغرق وقتا أطول في المعالجة. وغني عن البيان أنه إذا كان الكلام لا ينقسم فعلا إلى مبتدأ وخبر من الناحية السيكلوجية، فإن المتكلم لن يحتاج إلى هذا الوقت الطويل للمعالجة كما سوف نرى في التجربة التالية.

وواضح أن الجانب النفسي هنا هو " التذكر" أي تذكر كلمة ما تالية لكلمة أخرى، والمنهج النفسي المستخدم في التجربة، هو منهج

الترابطية الحديثة[٤] حيث تترابط الكلمة مع ما يليها.. ولكن من الممكن إدراج هذه التجربة أيضا ضمن المنهج السلوكي، فيكون السلوك هو الجانب النفسي، والمثير هو الكلمة في الموضع المعين، والاستجابة هي ذكر الكلمة التالية..ويمكن تقدير زمن التذكر من الزمن المستغرق في الاستجابة[٥]

ملاحظة: يراعى استخدام الأثر الصوتي لتقدير زمن الاستجابة.[٦]

---

[٤] أنظر المنهج الترابطي في المراجع السابق ٢٤/١

[٥] أنظر المنهج السلوكي في المرجع السابق ٥٣/١

[٦] الأثر الصوتي هو الرسم البياني لأصوات الكلام مسجلة بآلة خاصة على شريط من الورق

الفصل الرابع

تجربة تثبت أن المضاف والمضاف إليه كالكلمة الواحدة

ذلك أن نحاة العربية القدماء، اعتقدوا أيضا أن المضاف والمضاف إليه يترابطان مع بعضهما ترابطا قويا، ومن ثم فهما كالكلمة الواحدة، ورتبوا على ذلك أحكاما نحوية. فنحن نتوقع إذن أن المتكلم والمستمع إذا كانا فعلا يدركان المضاف والمضاف إليه على أنهما كلمة واحدة، أن يكون الوقت المستغرق في المفصل بينهما أقل ما يمكن بالنسبة للمفاصل الأخرى، وهو عكس التجربة السابقة التي رأينا فيها أن معالجة الكلام سيكولوجيا على أنه ينقسم إلى مبتدأ وخبر يحتاج إلى وقت أطول في المفصل الذي يكون بين المبتدأ والخبر.

ومن الممكن الاستفادة بالتجربة السابقة، فالمركب (أعماقُ البحارِ) يتكون من مضاف ومضاف إليه، ولذلك نتوقع أن يكون الوقت المستغرق بين الكلمة في الوضع (١) والكلمة في الوضع (٢) أقل ما يمكن نسبيا.

ومن الجدير بالذكر أننا يمكن أن نختبر درجة الترابط بين أزواج أخرى من المكونات النحوية، مثل المعطوف والمعطوف عليه (البحارِ والمحيطاتِ)، ومثل الفعل ومفعوله المطلق (تختلفُ اختلافا)، ومثل الصفة والموصوف (اختلافا شديدا)، وكل ذلك موجود في التجربة السابقة، ولكن مع تنويع الجمل، يمكن وضع ترتيب عام لهذه العلاقات لكي نرى أيها أكثر ترابطا، ولكي نرى مدى صدق النظريات النحوية.

وبطبيعة الحال يكون الجانب النفسي وكذا المنهج المســــتخدم فيها مماثلا للتجربة السابقة.

المراجـــــع

- تجارب مقترحة في علم اللغة النفسي- تصميم دكتور/ جلال شـــمس الدين توزيع مؤسسة الثقافة الجامعية ٤٠ شـــارع ســـوتر الإســـكندرية ٢٠٠٣.

- العربية معناها ومبناها- دكتور/ تمام حسان- الهيئة المصرية العامة للكتاب- ط٢- القاهرة ١٩٧٩

- علم اللغة النفسي- مناهجه ونظرياته وقضاياه دكتور، جلال شـــمس الدين. توزيع مؤسسة الثقافة الجامعية ٤٠ شارع سوتر الإســـكندرية - ٢٠٠٣.

- الأنماط الشكلية لكلام العرب- نظرية وتطبيقات- د.جلال شمس الدين نشر وتوزيع مؤسسة الثقافة الجامعية ٤٠ شارع ســـوتر الإســـكندرية ١٩٩٩ ط٢.

- موسوعة مرجعية لمصطلحات علم اللغة النفســـي إعـــداد دكتـــور/ جلال شمس الدين نشر وتوزيع مؤسسة الثقافة الجامعية- ٤٠ شـــارع سوتر الإسكندرية ٢٠٠٣.

رقم الايداع بدار الكتب بالقاهرة
٢٠٢٣٠ / ٢٠٠٣

مطبعة الانتصار
لطباعة الأوفست
كوم الدكة خلف شركة مياه الأسكندرية
✆ ٣٩١٦٥٩٧